الجرد الوطنيّ للتّراث الثقافيّ اللّامادّي
بطاقة جرد عنصر رقم 7/076

1-تحديد العنصر

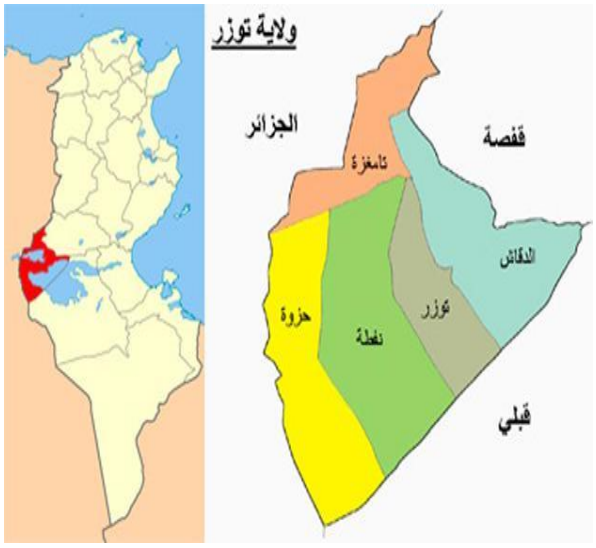
- **الاسم المتداول للعنصر في المجتمع المحلّي المعنيّ**

الملحفة الجريديّة

- **أسماء أخرى إن وجدت**

الملحفة "السُّودَه"، الملحفة الكحلة

- **الإطار الجغرافيّ لانتشار العنصر**



تُعدّ "الملحفة الكحلة" من أبرز مكونات الموروث اللّباسي النسائي في الجنوب الغربي التونسي، وتُمثل خصوصية جهوية بارزة لولاية توزر. وتتجاوز هذه الملحفة كونها مجرد زيّ تقليدي، لتتجلى كحامل للتراث الثقافي والهوية الثّقافيّة لبلاد الجريد، نظراً لما تختزنه من دلالات سوسيو-رمزية تعكس خصوصية المجتمع المحلي وامتداد جذوره التاريخية.

وقد ارتبط حضورها ارتباطاً عضوياً بالحياة اليومية لسكان الجريد وعاداتهم وتقاليدهم، مما أكسبها مكانة متميزة ضمن الذاكرة الجمعية والتراث المحلي.

وتشهد الملحفة « الكحلة » انتشاراً جغرافياً واسعاً في المدن والقرى الواحية بالجهة، وفي مقدمتها مدينة توزر باعتبارها مركز الولاية، إلى جانب نفطة ودقاش وحامة الجريد وتمغزة. ولا يزال هذا اللباس التقليدي يسجل حضوراً حياً حتى اليوم، مما يُجسّد ثراء الخصوصية الثقافية التي تميّز المنطقة، ويُؤشر على قدرة هذا العنصر التراثي

- **مجال أو مجالات انتماء العنصر***

- الممارسات الاجتماعية والطقوس والاحتفالات (العادات والتقاليد).

*1- التقاليد الشفويّة وأشكال التعبير الشفويّ بما في ذلك اللغة كواسطة للتعبير عن التراث الثقافيّ غير المادّي/ 2- الفنون وتقاليد أداء العروض/ 3- الموسيقى التقليدية/ 4- الممارسات الاجتماعية والطقوس والاحتفالات/ 5- الثقافة الغذائية التقليدية / 6- الألعاب الشعبية التراثية / 7- المعارف والممارسات المتّصلة بالطبيعة والكون/ 8- المهارات المرتبطة بالحرف التقليدية.

- المهارات المرتبطة بالحرف التقليدية

2- وصف العنصر

- **الوصف التّفصيليّ**

1. "الملحفة الكحلة" : البنية المادية والدلالات السوسيولوجية و الرّمزية

يُعدّ اللّباس التقليدي ركيزة جوهرية من ركائز التراث الثقافي اللامادي، إذ يعكس هوية المجتمعات وخصوصياتها الحضارية، ويجسّد أنماط العيش والعادات المتوارثة عبر الأجيال.
كما يُشكّل وثيقةً سوسيو- ثقافية تختزن في طياتها دلالات اجتماعية واقتصادية ورمزية، تُساهم في الكشف عن جانب هامّ من تاريخ الجماعات المحلية وخصائصها.
وفي هذا الإطار، تبرز "الملحفة الجريدية" كعنصر بارز من اللباس النسائي ، لارتباطها الوثيق بحياة المرأة الريفية والبدوية في جنوب البلاد التونسية، حيث ظلّت جزءاً لا يتجزأ من ممارساتها اليومية ومظهراً من مظاهر هويتها الاجتماعية.
وقد أفضى الانتشار الجغرافي لهذا الزي إلى تنوّع زخارفه وتقنيات ارتدائه، تبعاً للخصوصيات الثقافية والبيئية التي تميّز كل منطقة.
في حين اعتمدت أغلب الجهات التونسية أسلوب الإشتمال عند ارتداء الملحفة، وذلك بتثبيتها على مستوى الكتفين بواسطة " الخلال" (الإبزيم)، ثم شدّها عند الخصر بحزام يضمن تماسكها ويُيسّر حركة المرأة أثناء أداء أنشطتها اليومية؛ انفردت بلاد الجريد بأسلوب مغاير تماما يتمثّل في التحاف المرأة بـ "الملحفة الكحلة" دون اللجوء إلى التثبيت بالإبزيم، مما أكسبها خصوصيةً ميّزتها عن نظيراتها في بقية الجهات. وقد شكّلت هذه الخصوصية مجالياً خصبا للبحث الأنثروبولوجي والتاريخي، حيث ذهبت بعض الفرضيات التفسيرية إلى ربط هذا النمط من اللّباس بالمدّ الشيعي الذي عرفته المنطقة خلال العصر الفاطمي، والذي تعزّز باستقرار بعض العائلات ذات الأصول العراقية بها. واستناداً إلى هذه المعطيات، يُرجَّح أن يكون التحاف المرأة الجريدية بالملحفة الكحلة نتاجاً لتفاعلٍ حضاري أسهم في ترسيخ هذا النمط، قبل أن يتجذّر في البيئة المحلية ويتحوّل تدريجياً إلى إحدى أبرز السمات المميّزة للهوية النسائية ببلاد الجريد.

أولاً: البنية المادية والمعرفية للملحفة الكحلة: الخامات والممارسات

تتميّز الملحفة "الكحلة" الجريدية ببساطة تصميمها القائم على استعمال قطعة واحدة من القماش الأسود مستطيلة الشكل، يبلغ طولها قرابة أربعة أمتار وعرضها نحو متر واحد. و تُحاك عادةً من نسيج الكتّان الأسود، المُصطلح على تسميته محلياً لدى التجار والحرفيات بـ "عين حجلة".
و يُجسّد اختيار هذا النوع من الأقمشة حكمة بيئية ومعرفة متوارثة بخصائص الخامات ومدى ملاءمتها لمتطلبات الاستعمال اليومي في البيئة الصحراوية؛ إذ يجمع النسيج بين المتانة وخفة الوزن، مما يجعله متوافقاً تماماً مع التقلبات المناخية لبلاد الجريد. فمن جهة، تُساعد مساميّته على خلق تيار هوائي خفيف ومستمر يمر عبر النسيج فيخفّف بالتّالي من وطأة حرارة الشمس صيفا، ومن جهة أخرى، يوفر طبقة عازلة تساعد على الاحتفاظ بقدر مناسب من الدفء خلال فصل الشتاء. وبالتالي، لم يكن اختيار الكتان الأسود وليد الصدفة أو مجرد تفضيل جمالي، بل جاء ثمرة تفاعل تكيّفي طويل مع الخصوصيات المناخية والاجتماعية للواحة.
وعلى المستوى الوظيفي والرمزي، أسهمت خصائص القماش في توفير الرّاحة الحركية للمرأة، في حين يندرج اللون الأسود ضمن الدلالة الأساسية للملحفة المتمثلة في "الستر و الاحتشام"، بما ينسجم مع منظومة القيم الاجتماعية السائدة.

ولم يقتصر تحقيق هذه الغاية على الخامات أو الألوان فحسب، بل تجلّى أيضاً في "التقنية الجسدية" للاشتمال بالملحفة الكحلة، والتي تُعدّ خصوصية أدائية تنفرد بها المرأة الجريدية.
ضمن هذا السياق، تتجاوز الملحفة كونها مجرد غطاء يُرتدى على الهيئة المألوفة، لتتحول إلى قطعة قماش تُلتحف وفق تقنية حركيّة متوارثة تتطلب إتقاناً، بما يضمن إحكام تغطية الجسد، وثبات الملحفة أثناء الحركة، مع المحافظة على انسيابية تنقّل المرأة. فالمرأة بجهة توزر تلتحف بها من خلال لفّها حول جسدها بطريقة هندسية مميزة، تبدأ بتثبيت أحد طرفيها أعلى الرأس، ثم إحكام لفّ بقية المنسوج بما يلائم طبيعة النشاط البدني المطلوب.
تجدر الإشارة إلى وجود تباينٍ سوسيو- دلالّي في كيفية الالتحاف بالملحفة الكحلة باختلاف المراحل العمرية للمرأة، مما يعكس تدرّج التمثلات الاجتماعية المرتبطة بالستر. فالفئات العمرية الشابة (من فتيات عازبات ونساء متزوجات) يحرصن على الالتحاف بها على نحو يستر كامل الجسد، وصولاً إلى حجب الوجه، التزاماً بالأعراف المحلية التي كرّست هذا النمط من الاحتشام. في المقابل، يتسم التحاف النساء المتقدمات في السن بقدر أكبر من المرونة؛ إذ تُبقي بعضهن وجوههن ظاهرة مع الاكتفاء بتغطية الرأس و الظهر، بينما تواصل أخريات التغطية الكاملة مع إبقاء الوجه مكشوفاً.
و يُؤشر هذا التباين الدلالي بوضوح إلى أن عملية الالتحاف لم تكن مجرد أسلوب ميكانيكي في ارتداء اللّباس، بل مثّلت ممارسة اجتماعية (Pratique sociale) تعكس المكانة العمرية للمرأة وتجسّد التصورات المجتمعية المتغيرة بشأن الستر والاحتشام داخل النسيج الاجتماعي الجريدي .

2. الأبعاد السوسيو-رمزية للملحفة: بين دلالات الوضع الاجتماعي وعلامات الانتماء المجالي

تتجاوز "الملحفة الكحلة" وظيفتها النفعية والبراغماتية المتمثلة في ستر الجسد، لتتجلى كمنظومة سيميائية ودلالية تعكس أبعاد البنية السوسيو- ثقافية للمجتمع الجريدي. فمن خلال التشاكل بين عناصرها المكونة (لون النسيج، وزخرفة "السفيفة"، وتقنيات الالتحاف الجسدي)، تتحول الملحفة من مجرد غطاء إلى "حامل هوياتي" يعبر عن الانتماء، والمكانة، والوضع الاجتماعي للمرأة داخل النسيج المحلي.
ويتجلى هذا الثراء الرمزي بوضوح في التنوع التصنيفي للتسميات المحلية المُطلقة على الملحفة، والتي تُوثّق وفقاً للروايات الشفوية والذاكرة الجمعية – التدرج في الوضع الاجتماعي و الديموغرافي للمرأة.
ومن أبرز هذه التسميات الوصفية: ملحفة "عين حجلة" و ملحفة سنين فار" (الفتيات العازبات) و "ملحفة منجل" (المرأة المتزوجة)، و"ملحفة كب و قْعّد" (المرأة المسنة) ، و"ملحفة كراع دجاجة" (اللباس اليومي/العملي)، وصولاً إلى "ملحفة هزّ و رحل" (كسوة العروس).
غير أن هذه المنظومة التصنيفية وما ارتبط بها من تأويلات رمزية لم تحظ بإجماع الدارسين والباحثين في تراث الجريد، بل ظلت محل جدل حول الدلالة السيميائية لـ "السّفيفة" أو "الجريدة"، حيث تتقاطع في هذا الشأن قراءتان متباينتان: تذهب الأولى، والتي يتبناها بعض الباحثين، إلى اعتبار السفيفة "مؤشراً دالاً" يعكس الحالة الاجتماعية للمرأة؛ في حين تفترض القراءة الثانية، المدعومة من قبل مجموعة من الحرفيات والفاعلين في المجتمع المدني، أن السفيفة لا تُختزل في الدلالة الاجتماعية، بل تُعبّر بالأساس عن "الانتماء المجالي " (Identité spatiale) .
ووفقاً لهذه الفرضية المجالية، تُميز "السفيفة البيضاء" نساء مدينة توزر، في حين ترتبط "السفيفة الزرقاء" بنساء نفطة ودقاش. ويكشف هذا التعدد في القراءات أن السفيفة ("الجريدة أوالحرج")لا تُختزل في وظيفة رمزية أحادية وثابتة، بل تشكّل "عنصراً دلالياً متحركاً" داخل منظومة اللباس التقليدي؛ وهو فضاء تتقاطع فيه الإشارات الاجتماعية مع العلامات المجالية، بما يعكس عمق وثراء البنية الرمزية للملحفة في المخيال الجريدي.

3. التمايز المناسباتي والتدرج السوسيو-اقتصادي في خامات الملحفة

لا تقتصر دراسة "الملحفة" وفق دلالاتها الرمزية و المجالية فحسب، بل تخضع أيضاً لـ "تمايز مناسباتي "

(Différenciation occasionnelle)يعكس تقويم الحياة الاجتماعية والطقسية في بلاد الجريد. فالملحفة ليست كياناً مادياً جامداً، بل تتغير نوعيتها وخامتها بتغير السياق؛ إذ يُراعى في اللباس اليومي (الذي يُستخدم في سائر الأيام) أن تكون الخامة متينة و عملية، في حين تُخصص للمناسبات الاحتفالية كالأعراس ملحفة فاخرة تُحاك من حرير "القمراية" اللامع، وصولاً إلى ملحفة "الأتراح" التي تُرتدى في طقوس الحداد والفقد، والتي تحمل دلالات وقارية خاصة.
وعلاوة على هذا التمايز المناسباتي، يتجاوز المنسوج وظيفته الجمالية ليمارس دور "المؤشر السوسيو-اقتصادي (Indicateur socio-économique) "الدال على المكانة الطبقية. إذ تُجسّد نوعية القماش وجودته درجةَ الثراء والرأسمال المادي للمرأة و أسرتها؛ فمن الملاحظ أن النساء المنتميات إلى الفئات الميسورة مادياً كنّ يميلن إلى ارتداء الملحفة المصنوعة من منسوج« كابيدرا » (Capidra) الفاخر وباهظ الثمن، في حين تكتفي الفئات الشعبية بالأقمشة المحلية أو الأقل تكلفة.

- **العناصر الماديّة واللامادية المصاحبة للممارسة أو المهيكلة لها (الفضاء/ الأزياء/ الأدوات...)**

لا تُصنع "الملحفة الكحلة" في ورشات مهنية معزولة، بل تتم صناعتها وتحضيرها داخل الفضاء المنزلي، وتحديداً في "السقيفة.". وتُعد سقيفة المنزل فضاءً معمارياً نصف مفتوح يطل على الفناء الداخلي (الحوش)، مما يوفر الإضاءة الطبيعية والتهوية اللازمة للعمل.

أنثروبولوجياً، لا تقتصر وظيفة هذا الفضاء على كونه ورشة إنتاج فحسب، بل يُمثل فضاءً اجتماعياً حميماً للتواصل، وتبادل المعارف، ونقل المهارات الحرفية بين الأجيال النسائية.

وتتطلب صناعة الملحفة وتطريز "السفيفة" منظومة تقنية دقيقة تعتمد على أدوات تقليدية، تُوظف من خلال معرفة تقنية لامادية (Savoir-faire) متوارثة، وأبرز هذه العناصر:

- **الإبرة التقليدية** (أداة الدمج والتطريز): تتجاوز وظيفتها الأساسية في وصل شقّي الملحفة وتثبيت "السفيفة"، لتُشكل الأداة الرئيسية التي تختبر مهارة الحرفية. وتكمن البراعة التقنية في القدرة على توظيف الإبرة لاختراق نسيج "الكتان" الكثيف دون إتلاف أليافه أو تمزيقه، مما يتطلب دقة حركية عالية ومعرفة عميقة بخصائص النسيج.
- **خيوط الحرير** :تُمثل المادة الأساسية لإنجاز زخارف "السفيفة" التي تُضفي على الملحفة قيمتها الجمالية. وتُستخدم غالباً بالألوان التقليدية (الأبيض أو الأزرق)، والتي تتغير دلالاتها المجالية باختلاف مناطق بلاد الجريد. وتكشف سلاسل التوريد التاريخية عن دينامية اقتصادية، حيث كانت هذه الخيوط تُقتنى من الأسواق المركزية كتونس العاصمة و صفاقس، مما يعكس الاندماج التجاري للجهة وشبكات التبادل مع الساحل التونسي.
- **المقص الحرفي** :لا يُستخدم المقص لمجرد القصّ، بل هو أداة الضبط الجمالي والدقة الهندسية. يُوظف لقص قماش الكتان، وضبط الأبعاد الدقيقة للملحفة، وتشذيب الأطراف بما يضمن انسيابية السقوط (Drapé) وجودة الإنجاز النهائي، مما يعكس الاهتمام الحرفي بالتفاصيل.

- **الممارسات العرفية التي تنظّم أو تمنع الوصول إلى العنصر**

تخضع "الملحفة الجريدية" لمنظومة دقيقة من الممارسات العرفية والضوابط الاجتماعية التي تُنظّم الوصول إليها وتُحيطها بهالة من الاحترام، وتعمل في مجملها كـ "آلية صون غير رسمية" تحمي العنصر من الابتذال. وتتجلى هذه الضوابط أولاً في "الحظر الجندري" لفضاء زخرفتها، إذ تُحتكر تطريز الملحفة من قبل النساء داخل الفضاءات الأنثوية الخاصة، وتنتقل معرفتها التقنية عبر سلسلة نسوية مغلقة. وثانياً، في ضوابط "الستر والاحتشام" التي تفصل بصرامة بين الفضاءين الخاص والعام، حيث يُشترط ارتداؤها بشكل محكم في الفضاء العام حفاظاً على الأعراف المحلية.
كما تمتد هذه التنظيمات العرفية إلى المجال السوسيو- رمزي، حيث يمنع على المرأة ارتداء ألوان "السفيفة" التي لا تنتمي إلى مجالها الجغرافي الأصلي.
علاوة على ذلك، تُعامل الملحفة، خاصة تلك المرتبطة بمناسبات فاصلة كالاتراح أو الموروثة كذاكرة عائلية، معاملة "الأشياء المقدسة" التي يُمنع التصرف فيها تجارياً أو التعرض لها بما يمس كرامتها الرمزية. وهكذا، تتحول هذه الأعراف من مجرد قيود اجتماعية إلى منظومة قيمية تحفظ البنية المادية واللامادية للملحفة، وتضمن استمراريتها كحامل هوياتي متماسك داخل النسيج الاجتماعي الجريدي.

- **كيفيّة التعلّم وطرائق النشر بين الأعضاء والتمرير للنّاشئة**

تنتقل معرفة "الملحفة الكحلة" الجريدية وتقنيات صناعتها إلى الناشئة عبر منظومة مزدوجة تجمع بين الآليات التقليدية والآليات الحديثة، مما يضمن استمرارية هذا الموروث في سياق اجتماعي متحول.
على مستوى النقل التقليدي، يقوم التعلم أساساً على "التعلم بالملاحظة والممارسة "داخل الفضاء العائلي، حيث تُشارك الفتاة والدتها أو جدتها في إنجاز بعض مراحل صناعة الملحفة، ولا سيما تطريز "السفيفة"، مما يُسهم في اكتسابها المعارف التقنية والمهارات الحركية بشكل تدريجي وطبيعي.
وقد عزز تمسّك العديد من العائلات بارتداء الملحفة يومياً وفي مختلف المناسبات الاجتماعية من ضمان استمرارية هذا التواتر المعرفي عبر "السلسلة النسوية" (من الجدة إلى الأم فالابنة)، حيث يتحول اللباس إلى "حامل ذاكرة" حي ينقل الخبرات والقيم المرتبطة به.
وعلاوة على هذه القنوات التقليدية، برزت المنصات الرقمية ومواقع التواصل الاجتماعي كفضاءات حديثة لنقل التراث، تُساهم في تقريب هذا الموروث من الجيل الجديد. فمن خلال إعادة تقديم الملحفة وتقنيات صنعها في صيغ مرئية مبسطة وجذابة (مقاطع فيديو، دروس تفاعلية، صور توثيقية)، تعمل هذه المنصات على "رقمنة التراث (Numérisation du patrimoine) "، مما يعزز استمراريته ويجعله أكثر قابلية للاستهلاك الثقافي لدى الشباب خاصّة في ظل التحولات التكنولوجية المعاصرة.
.

3-الفاعلون المعنيون بالعنصر

- **حملة العنصر من الممارسين له بشكل مباشر**

يُشكل النساء الجريديات، بمختلف فئاتهن العمرية والاجتماعية، النواة الأساسية لـ "حملة" عنصر الملحفة الكحلة، إذ يُمثلن الحامل الاجتماعي الحي الذي يضمن استمرارية هذا الموروث المادي و غير المادي.
وتتوزع قاعدة الممارسين المباشرين لهذا العنصر على مستويات متعددة، تعكس تنوعاً ديموغرافياً ووظيفياً: تأتي في المقدمة الفئة النسائية من الأرياف والواحات، خاصة في مدن نفطة، توزر، دقاش، اللواتي يُمثلن الحامل التقليدي للمعرفة التقنية (Savoir-faire) المتعلقة بصناعة الملحفة وتطريز "السفيفة". هؤلاء النسوة لا يقتصر دورهن على الارتداء فحسب، بل يمارسن "الحرفية المنزلية" التي تنقل المهارات الحركية والدقة

التقنية عبر الأجيال.
وتليهن الفئة العمرية الشابة من الفتيات والنساء المتزوجات، اللواتي يُشكّلن الجيل الوسيط الذي يضمن التواتر عبر الاجيال . فهن يتعلمن بالملاحظة والممارسة داخل الفضاء العائلي، ويُمثلن القوة الحية التي تُعيد إنتاج العنصر وتكييفه مع متطلبات العصر، مع الحفاظ على جوهره الرمزي.
كما يمتد نطاق الممارسين ليشمل النساء المتقدمات في السن (الجدات)، اللواتي يُمثلن "الذاكرة الحية" و"الخزانات المعرفية" للعنصر. فهن حارسات الأصول الرمزية والتقنية، ويضطلعن بدور "المُلقّنات" و"المرشدات" في نقل المعارف العميقة المرتبطة بالمناسبات الفاصلة (أفراح، طلاق، أتراح) والدلالات السوسيو-رمزية للسفيفة.

- **مشاركون آخرون**

علاوة على الفئة المعنيّة بالعنصر بشكل مباشر، تعمل شبكة داعمة للعنصر من الفاعلين غير المباشرين، كالتجار المزودين للخامات (بائعي الأقمشة والخيوط)،والحرفيات المحترفات، و الجمعيات الثقافية، و الباحثين الأكاديميين، والإعلاميين.

- **منظّمات غير حكوميّة/ المجتمع المدنيّ**

- جمعية " لاريش (La ruche)"
- جمعيّة أطلال
- متحف العادات والتقاليد أولاد هادف بتوزر

- **هيئات رسميّة**

- مندوبية الشؤون الثقافية بولاية توزر
- المعهد الوطني للتراث
- المندوبية الجهوية للديوان الوطني للصناعات التقليدية بتوزر

4-مدى قابليّة العنصر للاستمرار: العراقيل والتهديدات

على الرغم من التواجد التاريخي والاجتماعي المتجذر لـ "الملحفة الكحلة" في النسيج المجتمعي ببلاد الجريد، إلا أن ديناميتها الحيوية تواجه اليوم عديد التحديات البنيوية، التي تُعرّض قابليتها للاستمرار لمخاطر حقيقية. ويمكن تفكيك هذه العراقيل عبر ثلاثة محاور سوسيو- ثقافية، واقتصادية، ومؤسسية رئيسية:

1) التحولات السوسيو- ثقافية وأزمة التواتر بين الاجيال:

- تأثير العولمة الاستهلاكية وتغير الأنماط: تشهد الفئات الشابّة عزوفاً متزايداً عن ارتداء الملحفة في حياتها اليومية، نتيجة الانفتاح على الأزياء العصرية الجاهزة، مما يُحوّل الملحفة من "لباس وظيفي يومي" إلى "زي مناسباتي" يقتصر على الأعراس والطقوس، مما يُفقد العنصر حيويته في الممارسة اليومية.
- الأثر المعياري للمؤسسات التربوية: ساهم التوسع الكبير في نسبة التمدرس بولاية توزر، في تهميش اللباس التقليدي وتقليص فترات ممارسته لدى الفتيات في مراحل عمرية مبكرة وحاسمة.
- شيخوخة حاملات للمعرفة (Le vieillissement des détenteurs du savoir): يتراجع بشكل مقلق عدد الحرفيات الخبيرات بتقنيات الخياطة وتطريز "السفيفة"، بسبب تقدمهن في السن، مقابل

ضعف جاذبية الحرفة لدى الفتيات، مما يهدد بـ "قطيعة معرفية" وانقطاع سلسلة نقلها بين الاجيال.

2) **الهشاشة الاقتصادية وتقلبات السوق:**

- ارتفاع كلفة الإنتاج: أدى التضخم وارتفاع أسعار المواد الأولية الأساسية (أقمشة الكتان الجيدة كـ "عين حجلة"، وخيوط الحرير الطبيعية) إلى رفع تكلفة الإنتاج بشكل كبير، مما جعل الملحفة التقليدية أقل تنافسية مقارنة بالبدائل الصناعية الرخيصة.
- ضعف الجدوى الاقتصادية والتسويقية: تعاني الحرفة من محدودية قنوات الترويج والتسويق الحديث، وغياب استراتيجيات التثمين التجاري، مما انعكس سلباً على مردوديتها المالية، وأدى إلى تراجع الطلب، وبالتالي عزوف الحرفيات عن هذا النشاط و البحث عن مصادر دخل أخرى أكثر استقراراً.

3) **الهشاشة المعرفية و التهميش المؤسساتي:**

- هيمنة النقل الشفوي وغياب التوثيق: لا تزال نسبة كبيرة من المعارف اللامادية المرتبطة بالملحفة (كالدلالات السوسيو-رمزية لـ "السفيفة"، وتقنيات الالتحاف، والتسميات المحلية المجالية) متداولة شفوياً دون توثيق علمي أو أرشفة رقمية، مما يجعلها عرضة للتشوه أو الاندثار مع رحيل حاملاتها.
- الضعف في البرامج التثمينية الرسمية: يُلاحظ غياب أو ضعف إدراج عنصر الملحفة ضمن البرامج الثقافية والتربوية الرسمية (المناهج المدرسية، ورشات المؤسسات الثقافية)، مما يُفسر محدودية حضورها في الوعي الجمعي للأجيال الجديدة مقارنة بعناصر تراثية أخرى تحظى باهتمام مؤسسي أكبر.

- 5برامج التّثمين وإجراءات الصّون

لا توجد حتى الآن برامج رسمية شاملة مخصصة حصرياً لصون "الملحفة الجريدية" كتراث لامادي مستقل، رغم أهميتها الرمزية كحامل هوياتي لبلاد الجريد. وتقتصر الجهود الحالية على مبادرات متفرقة تشمل الجرد الوطني العام للمعهد الوطني للتراث، والتوثيق الإعلامي والأكاديمي الفردي، وبعض الأنشطة الجمعوية المحلية غير الممولة بشكل دائم.

وتواجه برامج الصون الرسمية عراقيل متعددة، أبرزها غياب ملف ترشيح مستقل لليونسكو، وضعف التمويل المخصص، وتركيز الدولة على عناصر تراثية أكثر شهرة.

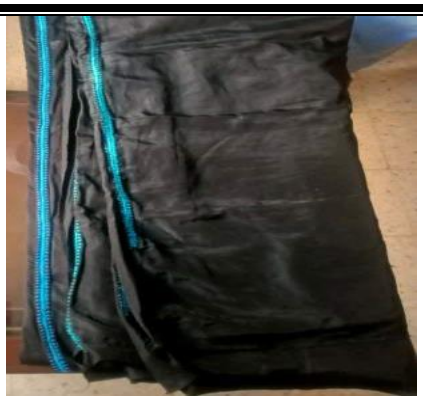
ولسد هذه الفجوة المؤسسية، تُقترح برامج صون عاجلة تشمل: التوثيق العلمي والأرشفة الرقمية للتقنيات والدلالات السوسيو-رمزية، وضمان نقل ممارستها بين الاجيال عبر ورشات تكوينية وأنشطة تربوية، والتثمين الاقتصادي والسياحي من خلال المسارات الثقافية والمتاحف الحية، والتأطير المؤسساتي بإعداد ملف ترشيح وطني .

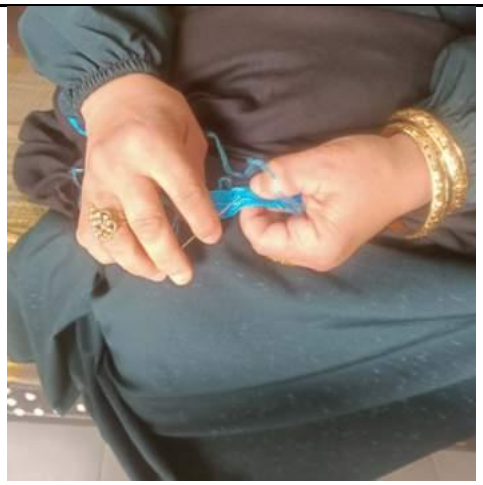
إن تحويل الملحفة من ممارسة يومية إلى تراث مُصان يتطلب تدخلاً عاجلاً يجمع بين هذه المحاور لضمان استمراريها كتراث حي.

6-التوثيق الفوتوغرافيّ للعنصر*

* بين سبع وعشر صور

	
ملحفة مدينة توزر المميّزة بلون "السفيفة" الابيض	ملحفة مدينة نفطة

	
يحيل لون « السفيفة » إلى مجال جغرافي محدّد	لكل نوع من القماش دلالاته الرّمزيّة



عمليّة تثبيت "السفيفة" على القماش بواسطة الإبرة.



عجوز ترتدي الملحفة بوجه مكشوف





طريقة ارتداء الشّابات للملحفة مع حجب الوجه عن النّاظرين

7-هويّة الشخوص المرجعيّة المعتمدة في استيقاء البيانات

- السيدة: منية الطالب، حرفية في الصناعات التقليدية بدقاش. الهاتف:.160.609 (95).
- اسيا السعيدى ، صاحبة محل لبيع المنتوجات الحرفيّة المتنوعة بتوزر
- خولة اللاّلة، إطار بالمندوبية الجهوية للشؤون الثقافيّة بتوزر
- محمّد فاروق باباي، إطار متقاعد بوزارة الشباب و الرياضة بنفطة

8-المصادر والمراجع

- **المكتوبة**

المراجع باللغة العربية

- **بوذينة، محمد (1998).** *الملابس التقليدية التونسية* .تونس: منشورات رقمية/مؤسسة بوذينة للنشر) .
- **بن يونس، حبيب (2001).** *المرأة التونسية عبر التاريخ: أزياء وحلي* .تونس: المعهد الوطني للتراث) .دراسة أثرية وتاريخية تركز على تطور اللباس والزينة النسائية.
- **المرزوقي، محمد (1975)** .*الأدب الشعبي في تونس* .تونس: الدار التونسية للنشر .

- **السبوعي، لطيفة (2010" .(**الملحفة والتخليلية بالجنوب الغربي التونسي: تقنيات النسج والارتداء والدلالات الرمزية ."*مجلة الحياة الثقافية*، وزارة الثقافة التونسية، العدد 214. (مقال مخصص يدرس هندسة الملحفة وكيفية لفّها واستخدام الخلال التقليدي في منطقة الجريد وقبلي).
- **الحمداوي، ليلى (2015.)** . *صناعة النسيج التقليدي في الواحات التونسية: توزر ونفطة نموذجاً* .صفاقس: دار صابر للنشر
- .**الشريف، أحمد (1993).** *قاموس العادات والتقاليد في بلاد الجريد* .تونس: مطبعة التسديد . (معجم إتنوغرافي محلي يشرح بالتفصيل أزياء المرأة الجريدية في الأفراح والمآتم واليوميات مثل "الملحفة الكحلة" و"البخنوق") .
- البقلوطي (الناصر)،مدخل إلى النسق اللباس التقليدي،مجلة الحياة الثقافية عدد 330،وزارة الشؤون الثقافية ،مركز الفنون و الثقافة و الآداب (القصر السعيد)،ص 5.
- الأزياء التقليدية التونسية في تونس ،مؤلف جماعي مترجم عن اللغة الفرنسية بمراجعة الباحث الناصر البقلوطي،دار الكتب الوطنية ،تونس،2021.
- بوقوبعة (ليلى)،الملحفة السّوداء...هويّة نساء الواحة والصّحراء،مجلة الحياة الثقافية العدد 330،أفريل 2022 ص 91.
- عطية صلاح (كريم)،عمر بشينة(محمد)، والزينة النسائية في الدولة الفاطمية دراسة تاريخية في مصر (567-358ه/969-1171 م)،قسم التاريخ كلية الآداب،الجامعة الأسمرية الإسلامية زليتن ليبيا،ص252.
- شهبان (تقى الدين)،اللباس التقليدي في إقليم وادي ريغ بخار العروس في منطقة تقرت نموذجا،كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية قسم التاريخ السنة الجامعية 2025/2024،ص70.
- براهمي (عبد الكريم)،الأزياء التقليدية للمرأة التونسية:علامات و رموز"بر الهمامة " (1) نموذج مقاربة انثروبولوجية،المجلة الثقافية الشعبية العدد 32.
- باجية (صالح) ،الإباضية في العصور الإسلامية الأولى:بحث تاريخي مذهبي،دار بوسلامة،تونس 1976
- عزوز(صفية)،صحراء دوز،تجذر التراث الثقافي وأصالة الهوية،مجلة الحياة الثقافية عدد 251 لسنة 2014،وزارة الثقافة التونسية ص 34.

Références en Français

- Gargouri-Sethom, Samira (1986). *Le costume traditionnel féminin de Tunisie*. Tunis: Maison Tunisienne de l'Édition.
- Ferchiou, Sophie (1992). *Habits de fête : Costumes et parures de Tunisie*. Tunis: Alif / Les Éditions de la Méditerranée.
- Revault, Jacques (1978). *Le costume tunisien : l'artisanat du costume féminin*. Paris: Éditions du CNRS..
- Puigaudeau, Odette du (1970). "Arts et coutumes des femmes de l'Ouest saharien : Le vêtement drapé (Mélahfa)". *Journal de la Société des Africanistes*, Tome 40.
- Sethom, Hafedh (1977). *Les Régions géographiques de la Tunisie : Le Djerid*.

Tunis: Université de Tunis.
- Lisan, Noureddine (2004). "Le tissage et les costumes traditionnels du Sud-Ouest tunisien (Gafsa et Tozeur)". *Cahiers des Arts et Traditions Populaires*, Tunis, n° 14, pp. 45-62.
- Siron, Jean-Jacques (2012). *Oasis du Djerid : Histoire, coutumes et parures des gens de la palmeraie*. Paris: L'Harmattan.

- **السّمعيّة البصريّة**

/https://www.facebook.com/share/v/1XA7A3GhDt
https://www.facebook.com/share/v/1BNYKKdFaZ/

https://www.facebook.com/share/v/1CLyiZVusc/

.

- **المواد الوثائقية المحفوظة في المتاحف والأرشيفات والمجموعات الخاصّة**

توجد عديد النماذج من هذا المنسوج ضمن المجموعات الخاصة بنساء الجهة و كذلك في عديد المتاحف على غرار متحفي العادات والتقاليد أولاد هادف و دار شريّط.

9-معطيات تقنية حول عمليّة الجرد

- **تاريخ البحث الميدانيّ ومكانه**

أيام 16/15/14/13 أفريل 2026 بكل من مدينة توزر نفطة ودقاش

- **جامع أو جامعو المادّة الميدانيّة**

- **السيدة مبروكة الطبال**
- **السيّد رياض بالزاوية**
- **السيد محمد المقدّم**

- **تاريخ إدخال بيانات الجرد**

30 جوان 2026

- **محرّر بطاقة الجرد**

مبروكة الطبال

- **تحيين المعطيات الميدانيّة**